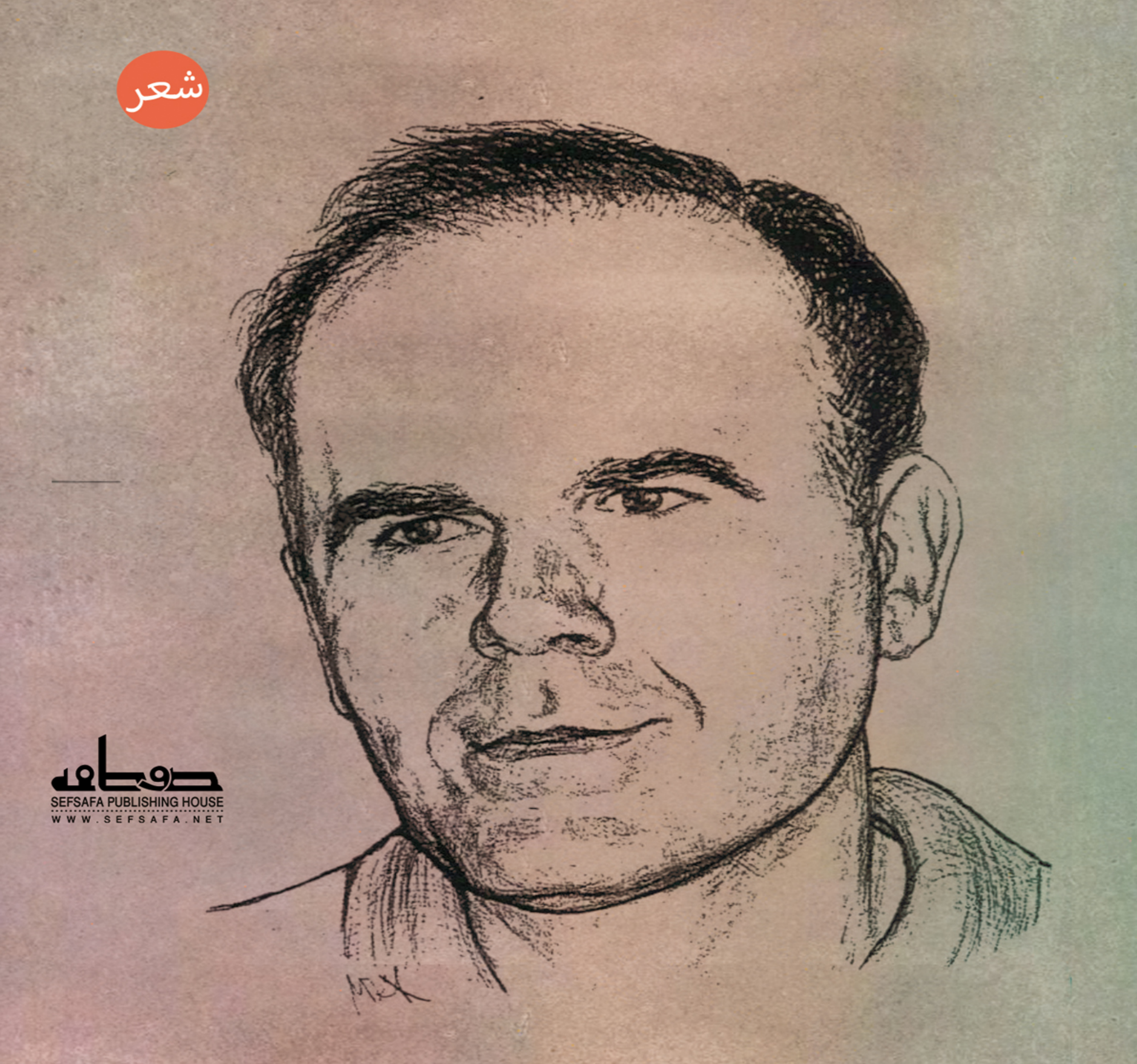
سبيروس كوكيناكيس

كنا نحلم بلغة أخرى

مختارات شعرية

ترجمة: د. خالد رؤوف



كنا نحلم بلغة أخرى

مختارات شعرية

سبيروس كوكيناكيس

ترجمها عن اليونانية: د. خالد رؤوف

كل الكلمات قد قيلت....

لكن تبقى كلمات لم نعرف معناها بعد.

بدلًا من مقدمة

هذا الإصدار الذي بين يديك عزيزي القارئ، جعلني أعود بذهني للخلف لألقي نظرة على مسيرتي. رحلة طويلة منذ 1974 حين صدرت لي أول مجموعة شعرية وحتى اليوم.

الشعر، مثل كل الفنون، هو عشق ومقاومة على التوازي. سعيت نحو الإبداع في مغامرة طويلة ومستمرة لم تنته بعد. كنت محظوظًا كوني ولدت في وطن يغمره النور دومًا، ونشأت في بيئة تنعم بالحرية. لم أضطهد قط وفعلت كل ما كنت أرغب فيه. علمني الزمن أنه ليس هناك ثمة لقاء في الحياة يحدث مصادفة. فهناك قوة ما تحدد وتقرر لهذا اللقاء.

في مقدمة ثاني كتاب لي صدر في عام ١٩٧٤ استهللته بهذه الجملة التي أعرّف بها الشعر من وجهة نظري:

«إن الشعر هو تحقيق لكل الأحلام من خلال الفكر والحرية».

أما في عام ١٩٨١ فاستهللت كتابي السادس بما يلي:

«إن الشاعر يرفع ثقل الفرد والجميع في الوقت نفسه معبرًا وعائشًا في مناطق مشتركة».

فالأبيات التي يكتبها وإن بدت شخصية، هي ليست إلا أبيات الفرد والجميع، إذ إن زمنه هو زمنهم

وفي المرآة التي يرى فيها وجهه يظهر وجه العالم كله».

على أثر هذه التعريفات، مضيت في رحلتي الشعرية أتحسس الماضي وأقتفي أثر الحاضر وأسعى نحو مستقبل أفضل، جاعلًا من الشعر ممارسة كشف، تأتي بالنور وقشعريرة المفاجأة والحكاية الداخلية للإنسان والشغف والخوف من الموت والاشتياق والأماني.

أشعر بحاجة ملحة لشكر الدكتور خالد رؤوف من أعماقي، على ترجمته لمختارات من قصائدي إلى اللغة العربية، وأعلم أنه بما يملكه من معرفة وحب لفن الشعر والرهافة التي تميزه سيصل بهذه المهمة إلى أفضل نتيجة ممكنة. ينقل د. خالد رؤوف هذا الكم من التأثر والمشاعر والفكر باستخدام

الكلمات التي تعبر في جوهرها عن عالم لا ينفصل فيه الإنسان عن الطبيعة مستمرًّا في نقل الشعر اليوناني إلى العالم العربي.

سبيروس كوكيناكيس، أثينا، ٢٠٢١

مسافات

بينه وبيني
كل ما تخشاه
غسلوا الجسد وألبسوه
وقَطَّروا عليه العطور.
بعد ذلك ناحت عليه
كائنات حدباء
تنضح بياضًا
تحمل أوعية الزيتون
مشاهد من مطاردات العشق.
ثم رشوا عليه التراب
فيما ينظرون إلى الظل وهو يسافر
بقطعة عملة معدنية في فمه
عسل الزهور وملابس نظيفة.
عندما أشرق أول شعاع شمس
الماء المالح غطى كل شيء.
بينه وبيني
عالم بلا سلوان.

صلصال

ما فائدة كل هذه المعارف من أجل الدموع.

ما فائدة كل هذه الوحدة الكبيرة في قلب
الحقيقة.

رأس حجري مُلقى فوق التراب أمام
القضاة والموظفين القائمين بالمهام
ومكاتب تيسير الأمور

في الجمود الذي يخفي النبات.

ما الفائدة؛ أن تُسمع النغمات أبطأ في كل مرة
فيما يستقبل البحارة القبل وهم على متن السفينة

وأطياف من المسافرين الهاربين لرحلات بعيدة.

ليس هناك أي مكسب بعد كل هذه المعرفة.
فقط حساسية كبيرة. كبيرة لدرجة الغرق
في دموع نظرة صبي
خلف المرايا.

متَنَفسًا

على الجانب الغربي للجبل

تمشط كليتمنيسترا[1] شعرها وهي تغني

على الضفة اليمنى للنهر

الحاكم ينشئ روابط العنف

من وراء ظهر الحاكم وكليتمنيسترا
يتمتم أجاممنون[2] باستمرار ترانيم جنائزية
إلهام غير مسمى ومقاومات وشعور بالذنب والشفقة

خلف الكلمات تتوارى
أنفاس
وجوه لم تختَر التضحية
شباب يضيعون دون أن يعرفوا

خلف الكلمات تختبئ
قرارات عظيمة تقتل على طرق معبدة.

1كليتيمنيسترا، كانت زوجة أجاممنون و ملكة مايسيني في أساطير اليونان القديمة. (الناشر)

2أجاممـنون هو ابن أتربوس وإيروبي، وشقيق الملك مينلاوس ملك أسبرطة، وزوج كليتيمنيسترا وهو الذي قاد الحملة التي ذهبت إلى طروادة لاستعادة هيلين زوجة الملك مينلاوس التي هربت إلى طروادة مع باريس.. (الناشر)

تواطؤ

في الليل بعد المطر
يا لرائحة الأرض الطيبة
بطل الغرفة
المحكوم عليه بالنسيان
يقف متصديًا للغبار

يتحاور مع المرعوبين معه في الغرفة

عن الموت الذي يهددهم

عن مغامرة اليوم

عندما تصبح الحياة رغبة غير محتملة

وتقف النهاية متربصة

في الصباح بينما يتحاور مع المرعوبين معه في الغرفة

عن الزهور في الشرفات

الزهور التي تذكر بالأنانية والأوهام

يدفن الصمت في التراب

بينما يرحل الآن.

الذين ينظرون إلى السفن

هؤلاء

الأحاديون

العارفون بالاتجاهات ـ الفاقدون لها

الأصلاء

هؤلاء

الذين يرفعون أيديهم

ويتحدثون عن البحر

هؤلاء

الذين يشاهدون السفن

ربما يستطيعون الإجابة عن تساؤلاتنا.

من ديوان «جنازة للطغاة»

جنازة للطغاة

أيادٍ مريرة

وجه يتشح السواد

صناج غامضة في مسحوق أشواك

أصوات مصفحة في خضم ضحك غير مجدٍ

(يوم بلا شمس)

أحلام صفيحية

مسيرة العالم، ثوب عذري أسود

والإنسان؟ محض حفنة من الصرخات

أحشاء مكتوبة بلا سعادة

الشمس طاغية مرهق، حصن بحري

اصلبوا النظرات، أثداء الصخور

الموج يضرب مصاريع النوافذ

من فضلك

افتح صنبورًا كي يجري الماء في الكف المفتوحة.

اعتراف

جدران بيضاء، أرضية داكنة، مبقعة

مصباح معلق.. بقوة مئتي شمعة

نافذة على الشارع، تطل على أرض مجاورة مليئة

(بالقمامة)

طاولة، منفضة للسجائر

مسطرة خشبية.. كيس تفاح ورقي
(على الطاولة)

مقعدان، ظلال طويلة.. وقيظ، حر

(خانق)

"ماذا فعلت؟ تكلم".
"لا، لست بريئًا".
"هل قمت بالفعل المشين؟".
"لا، لا".
"لا بل قمت به، فعلتها، اعترف».
"لا، لا، لا".
"نعم، نعم، لقد فعلتها".
الحر خانق والوقت يمر

"نعم، فعلتها. لقد ضجرت من استماعي إليك".

المصباح المعلق مضيء، في وقت الظهيرة

"لقد فعلتها، فعلتها. طالما تريد هذا؛ فقد فعلتها".
"هيا خذوه، لقد اعترف. سمعتموه، اعترف".

فُتحت النافذة، القضية أغلقت
الجبهة المتعرقة جُففَت
التفاح قشر والمشنقة في
(الغرفة المقابلة)

الجدار ينظر بتهكم

من ديوان «شرخ في الأرضيـة»

عاد المغتربون

عاد المغتربون يخفون بأصابعهم، الجرح على بطونـهم.

عاد العرسان من رحلتـهم في الليالي

(القمرية)

ثم،
بحث أحدهم في جيبه عن سيجارة فوجد الضفدع

(الصغير)

الذي تبعه من داخل المرآة بجوار

(الفراش)

حين كان يوصد الباب وهو مفعم بالرضا
صاح كأنـه حر.
الآخر نظر إلى سترة في نـافذة المحل وقد غاب عنـها الجسد

(قد دفنوه)
دخل ودفع ثمنـه وغلفوه لـه.

ألقى نظرة عابرة على الزجاج خلفه.

وعندما ارتداها اعتقد أنـها تليق بـه..

لأنـه قد تعلم أن ينسى.

من ديوان «وداع الصمت»

هزيمة

ألوان

ضجيج

صبر

اضطرابات وتخريب

البنفسجي والأصفر

الرمادي والأخضر

حقراء وفخورون

ألوان

الإعلانات والثقة

الصبي الذي يبيع السجائر

الصبي الذي يتسول

والذي ينظف زجاج السيارات

ألوان

هل نتحدث عن الانتصارات فقط؟

خبرات

مات ياينيس
نيكوس في الجندية
مانوليس ذهب إلى أمريكا
والوكر خاوٍ، معتم وبه صندوق
وصورتان
القنديل يشتعل وفي الخارج مقعد
أصيص و...
تلك الأم
تنظر للأرض والسماء
تنظر للمقعد وللأصيص...
لا تتكلم
تعرف أن لا أحد سيرد عليها.

من أجل العدالة

كانت أيادي سخرية الذات تتدلى

على جانبي الخطوات التي تطلب منك ضجيجًا

وجود ونهاية عصر

آنية عتيقة مليئة بالكلام.

لكنه كان أعلى من

من التهم الهزيلة الصغيرة ويشعر كثيرًا بالمرارة

عند رؤية أزمنة كاملة تتغطى

وتتعرى السخرية في نفس الأشياء.

لم تعد لها أي علاقة بوجوه

ثابتة ومحتفظة برونقها.

لو مضت في فضاءات أكثر جوهرية... لو مضت

لكان فخرهم حينئذ أصيلًا.

جباه متعرقة

لم يلتزموا

لم يخافوا ولم يحزنوا

عملوا

في الطاحونة وفي الحقل وفي مناجم الفحم

لم يرتعدوا

لم يعيروا اهتمامًا لأبدانهم

حاربو

في ليالي الشيخوخة المضيئة

قليل من النقود

أجر للجباه المتعرقة

لولا هذه الجباه لكانت أجسادنا بقيت بلا عظام

مفتوحة مثل الكف

أحيانًا مجرد ابتسامة تمنح حياة للوجوه الضائعة

عندما ينام طفل وفجأة يوقظه كابوس

عندما يعود العامل من عمله

الابتسامة هي حياة

تطرد الموت المتأرجح ليلًا

ولا يعرف أحد أبدًا إذا كان سيحتاج يومًا

لابتسامة الآخر

النهاية

انكمشت أجنحتها بعد أن بللتها الأمواج

تركت الحجارة الساخنة تسقط من يديها

وتضيع في الرمال الذهبية تحت وطء الشمس

تركت آثار أناملها وهي

تجفف خطواتها في الطريق الخالي. نسيم خفيف هب وبعض الأولاد
كانوا يستعدون للعودة. مضت وتركت حبات عقدها تسقط

فرسمت شكلها على الرمال.

تركت ضوء الحلي ينطفئ في الغروب.
من يديها يفيض الدعاء والعشق
وفي الموت طفل ورقي صغير لم يكن ظاهرًا

الآن حيث ماء البحر يصل بمحاذاة الطريق.

عندما توقفت الحافلة لتقلها

خرجت النجوم من عينيها ومن شفتيها

خرج النشيد الأبدي للحمام الأبيض

بينما كانت تضيع في ماضيها بفخر

للشاعر الذي ستلده.

من ديوان «أمواج بحر إيجة - شكل التضحية» ١٩٧٩

كيكلاذيس ٤[3]

ظل

حلم

جزيرة وحجر

حجر ووردة

ربيع

ليالٍ كثيرة والولد يصطاد.

البنت تغسل الأباريق في أحلى الينابيع

الأم تحيك في غرفة المعيشة

ظل وحلم

جزيرة وحجر

وردة وأغنية

سماء لانهائية في الأعالي

شعور أزرق

عيد فصح بهيج

ورب.

3 هي مجموعة من جزر اليونان تقع في البحر الإيجي، جنوب شرق البر الرئيس لليونان، وهي محافظة يونانية. (الناشر)

كيكلاذيس ٥

الأبدية تؤول لهم

الحب يؤول لهم

آمالنا تؤول لهم

رهافة الجو تقترب منا

تتوحد مع صدر الفتاة وزهرة الجزيرة

خلف الفناء الذي خلق الضوء

بالقرب من رعشة مبادرة غير مرئية

صمت الرمال الناعمة الملونة

فوق الخطوات

آثار أنامل

المرأة ذات الوجه المتعرق

الرجل ذو الصدر الكثيف

الولد بالمشاعر في كفيه.

الأبدية تؤول لهم

مع فتنة النوارس فوق بياض

الأبدية.

ماذا سيحدث عندما

نتوقف عن الكلام

ينسى أولادنا الكلمات

تتوقف الأغاني أن تُسمَع

تغطي همهمة الأسد على صوت ضحكك

سنسير نحن قضاة ومحكمين

ماذا سيحدث عندما

تنسى الشمس الحي

والولد الجد

والبنت تنسى التكعيبة

سنصدر القرارات

بينما الرسائل لن تصل بعد

والأمواج ستغطي بيوتنا الصغيرة

ماذا سيحدث حينها؟

من ديوان «في عصر الشك» ١٩٨٣

لاجئ

صبحنا في أرض غريبة
كدحنا من أجل أرض غريبة
أولادنا ولدوا في أرض غريبة
وهنا لا يسري قول قدمائنا «أينما تعيش تستوطن»
اشتقنا إلى طين أرضنا
بيتنا الذي تركناه
لم نكن نصدق أننا سوف نجد حيويتنا من جديد
كنا نظن أننا سنجد الطين الذي داسوه
يجب أن تصدقني يا صديقي العزيز
كنا نتحدث بلغة أخرى
كنا نحلم بلغة أخرى.

الوهم

تحت ضوء قمر وليد

اقتُرِفت الجريمة

وكل ما بقي هو

زوج من الحمام الأبيض

وهم!

من ديوان ذاكرة متدفقة ١٩٩٠

مسافات

I

الحقيقة حجر جاف غير مستخدم
خلف النور.

II

الوجود يغزل دوائر
على جدران تتنصت.

III

يبكي فخرهم
على أسرار الجمال.
أيها الزمن الشره
أيها الزمن السرمدي.

IV

حجر
حجر غير مفهوم،
هي قصة الإنسان غير الحر.

V

رأسها، يعزف عواصف،
هجران متكرر غير متوقع
صار مثل جزر نجاة
تُذكر برهافة العشق.

VI

رضيع

يغني

فيعيد توزيع الظلم والعدل.

من ديوان صور وأشياء أخرى ١٨٨٥

النائمون عندما يستيقظون

في الضوء

الساعات والخطوات

البحر والشباك

طواحين الهواء ومطاويح

الحكايات والجدات

جلبتُ الحياة مغلقًا في كفي آلاف الكلمات

ثورات

انقلابات

حروب

موت وحياة

في النور

قشعريرة الثقوب والنشوة

فهمت

أن النائمين حين يستيقظون يصيحون بصوت أعلى.

من ديوان "حدود الشفق" ٢٠١٩

ريح الجنوب

النهار العاري يحطمنا

هكذا مثلما يمحو المستقبل

وفي مرات نخشى

ألّا نرى الشمس ثانيةً

حتى وإن كان قد صار

البحث عن الحقيقة

تقليعة في أيامنا!

أتلانتس4

نبض العشق الوردي يحمل في صدره

دائمًا في كل مكان أمًّا

ودائمًا هذا الوجود المبتسم

يقطر

قممًا فضية مثل قطرات أسرار في الحلم الذي

يتماهى مع الموت عندما تُلغى الرحلات إلى

(أطلانتا الضائعة).

انقراض الحياة في الماء الذي يغسل شعر الأم

في كل مرة يُفقَد صبي في حديقة التنـهدات

حيث يبحث الصبية عن نسيم فاتر

(بإيماءات مسموحة)

كيف تظهر الأصابع من داخل القماش

(الشبكي)

كيف يبرد الجسد كلما ترك الصبية

(تنـهيدات الارتياح)

نبض يحمل في صدره أبًا.

4قارة افتراضية أسطورية لم يثبت وجودها حتى الآن بدليل قاطع، ذكرها أفلاطون في محاورتين مسجلتين له؛ طيمايوس وكريتياس. (الناشر)

سلك شائك

بينما تنزل الكلمات مضطربة

يدخل الليلك في تجارب شاقة باكيًا في كل مرة

يحبسون عصفورًا في قفص ثم يتركونه

بين الحين والآخر يطير في مكان مليء بالفواصل.

عندما كنتِ تحدثينني عن الحرية، كان نَفَسي يشعل (سيجارة)

مع الأبيات. كنت أحدثك عن البحث عن العشق

(وربما)

حتى الاشتياق للاقتران له مغزاه.

الويل لهؤلاء الذين لم يعرفوا النسيم الحر

ولو حتى ليوم واحد

لأننا نحن الذين عرفناه لم نتوقف قط

(عن البحث عنه)

ورد وزهر الصباح المشمس

قيامة وسعادة المعنى الذي يتضح

ويُرشد إلى كيفية الحل.

القسم

كيف يهمس بالقَسَم الذي كلفوه به

قسم الضباب وتكرار كلام الأمس

من خلف جفون نصف مفتوحة تسير أقدام غريبة

تتخلل الزجاج الباهت

على تلال من رسائل لم تصل

القسم الذي كلفوه به لم يقله

السفن القابعة في الميناء اشتبهت في البوابة المغلقة

غنيمة الحياة هي محض صاعقة

الذي مات بالأمس لم يحمل سكينًا في يديه

كان يحمل قطرة من الدموع وشروق النسيان.

الخادم المبجل

عندما شعرنا بالصيف

فتحنا أبواب الصمت

كي يدخل البرابرة ويقولون لنا ما لديهم

هنا الوقت يحسب جهدًا مزدوجًا وليالي مضاعفة

ولا تَقِس المسافات

تعلم أن تكون منتصب القامة كالشجرة التي

تكمن عند مسند الرأس

تعلم ألا تخاف

فتلك الأزمة التي ستأتيك لتجدك

قويًّا وثابتًا حتى إنها ستحسب حسابك.

وعندما يأتي الصيف القادم سيأتي

صديقنا الخادم المبجل ويجهز لنا

غرفة بجوار أوراق الكروم

في المساء ستضع يوانا تحت وسادتها

صورته، وهي تعلم أن كل القيم

تعيش في الصمت الذي يخلقه الدعاء

والشيء الآخر.

تحقيق

شقوق حول العنق

في كل مرة يمسنا الضوء فيما يفصل بين البسيط والمعقد

قطعوا شجرة الحديقة

ذبلت الأزهار

المرأة التي تفتح مصاريع النافذة انكمشت في وحدتها

ساعي البريد غيّر طريقه

هؤلاء الذين يرون الحزن

يبصقون في المنديل

يشعلون سيجارة

ويتحققون من الشرخ على الزجاج الذي يأبى أن يسقط.

في ذلك الصباح لم تطلع الشمس

ذلك الصباح لم تطلع الشمس،

كان الدجاج ينقر في أفكار الميت

وتَعَكر الماء في النهر.

في تلك الظهيرة أظلمت السماء،

امتلأت سفوح الجبال بالصلبان وزهور الخشخاش

والابتسامات تجمدت على وجوه زوار المتحف.

في ذلك الغروب انتثرت الدماء على المارة.

من ديوان «السكندري» ـ أربع عشرة قصيدة لقسطنطين كفافيس[5]

الذين عرفوا العالم بالعكس

الذين يجلسون بدؤوا يحلمون من جديد
بالشوارع وبشقوق الجدران
بالحدائق داخل الغبار
بسواعد الشباب العارية
هؤلاء الذين ينحنون ويجمعون الأحلام
من الشارع بقبعاتهم الخوصية
يتذكرون الشمس بعد المطر وهم يطؤون الطين
هؤلاء الذين عرفوا العالم بالعكس
يتأملون الحجارة الداكنة والسماء الزرقاء
يتحسسون شعرًا أسود كثيفًا
بأيادٍ نسيت بياضها
هؤلاء يُخلُون الأعماق ليلًا
حيث تلتمس ثقتنا الساذجة المساعدة على مضض.

5 المعروف أيضًا باسم كونستانتينوس بيتروس كفافيس (١٨٦٣- ١٩٣٣)، وهو شاعر من الإسكندرية له قصائد خالدة مثل «المدينة». (الناشر)

تجاعيد

كان صوته يُسمع من بعيد

يرفرف رائقًا من النافذة للباب

جاء

نسيم واقترب من وجهه

بقي التأمل كزهرة شتاء

نظر إلى وردته مباشرة

تذوق حلاوة شفتيه

بخجل

فيما يمسك بحدود الخيال

والمستحيل

كان صوته يُسمع من قريب

الحياة كانت تفيض على وجهه

العشق

واحسرتاه

بلا وِجهة

عقبة

هي العلامات والتجاعيد

تضرع أم ذكرى.

النقطة والدائرة

العيون الجاحظة دفعت الباب الخشبي

وراحت تشي بالضجيج وأصوات الجرس

طعم البحر على الشفاه الظامئة

ماذا تعرفون عني؟

أصياف كثيرة مريرة وفي الصورة أمي لا تتحرك

أنظر إلى قلادتها، أصابع العناية والأوامر التي تعطيها

ما الذي تعرفونه عني

بينما أنظر على السطح أدمعت عيناي وبدلت الصفحة

في الأعماق قليلون كان بمقدورهم أن يعرفوا

وإلى أن يأتي ما كنت أبحث عنه كنت قد شِخْتُ

ما الذي تعرفونه عني؟

في لحظة كان الموت ولم يكن هناك شيء آخر

ماذا تعرفون عني؟

العيون الجاحظة انغلقت وهي تطرد الصور

طعم الملوحة على الشفاه كان طعم الدموع

ماذا تعرفون عني؟

لا شيء

لا شيء

أشعلت شمعة تضيء النقطة والدائرة.